

إِلَيْهَا (٢)

شُعُورٌ لَا يَنْقَطِعُ ...

لا أتوقف على أن أشعر بذات الشيء، أن أبقى أحبها على الدوام، أن أشعر تجاهها بالرغبة عند كل صورة لها، أو كلمة منها، أو حتى خيالٍ أو حلمٍ يعتريني في حال النوم أو اليقظة. هي استمرار دائم ومحاولة لا تكاد تنقطع من المدد العاطفي يأتيني مرةً بصورةٍ بؤسٍ شديد، وأحياناً بصورةٍ عطرٍ فوّاح يشعُرني بالانتعاش أو الانتشاء، شيءٌ كهذا، ومرةً بصورةٍ ابتسامَةٍ عريضة تأخذُ جزءاً منِّي. هي نوعٌ من التخبُّط المستمر!

أشعر بالحاجة إلى هذا التخبُّط؛ لأشعر بالحب مجدداً، بالأ يتوقف ما أحسَّ به تجاه هذه المشاعر المتتابعة. الحب في هذه الحالة يعدُّ الحاجةً إلى الإحساس به أكثر من أيِّ أثرٍ آخر من آثاره.

لا أنتظر من خلال هذا الحب أيةً أبديةً للسعادة أو الشقاء كما في القصص الرومانسية، إنني أتلمَّس في هذا الحب الحاجة إلى أن أبقى على وصالٍ دائمٍ بمشاعري نحوها، أفزع لفرعها، وأفرح لفرحها، وأطرب لما تطرب به، وأنزعج مما تنزعج منه. وأخالفها وأحبُّ ما تخالفني فيه؛ لأنه يعبر عن إرادتها ورغبتها!

الحب هو مجموع تلك المشاعر المتناقضة، المتضاربة تضارباً صارخاً؛ حتى تفيض منه المعاني التي يبحث الإنسان عنها. لا غاية للحب سوى أن يوصلك إلى المعنى في الحياة، هو ليس خلوداً بذاته بل طريقٌ إليه لا يمكن أن تسلك طريقاً غيره!

عشق جبران مي زيادة ولم يلتقي بها، واستمرت بينهما المراسلات متّقدة؛ لتبقى المشاعر كذلك، ومن ثمَّ يبقى الحب. كل ذلك حتى يكون لهذه الحياة معانٍ يمكن للإنسان أن يفهمها بها؛ لذلك كان أدب وفن مي وجبران مليئاً بالمعاني، وخالياً من أبدية الوصال الزائفة.

"غاية الحُب الرومانسي ألا غاية له؛ لأنه يطمح للوصول إلى غاية الحُب، وهو أمرٌ لا وجود له حقيقةً!"

تمسُّكُ الناس بالحب الرومانسي الذي يبحث عن الغاية فيه، هو امتدادٌ لبحث الإنسان عن المعنى في هذه الحياة؛ لذلك فهو يتلمَّس السعادة الأبدية فيه، كما يرضى بالموت لأجله باعتباره المعنى الذي عاش له.

عبد الله الخراز

الحب هو ما تتولّد عنه المعاني الإنسانية التي يمكن أن يُعاش من أجلها، الحب غاية للوصول إلى المعنى؛ فلا يمكن أن تكون له غاية قصوى، كما لا يمكن أن يكون أبديّ السعادة، ولا مقصدًا للموت!

"الحب مجرد طوفان من المشاعر، لا أكثر"

هو القدرة على ممارسة احتمال المشاعر المتكررة والمتتابعة؛ لذلك فإن البحث عن الوصول إلى التنعم بالمحبوب، أو الموت دونه، والبحث عن الغاية الرومانسية في أقصى ما يمكن تخيّلها ليس إلا صورة متخيّلة عن الحب.

هذا يُفسّر ما يفعله البعدُ بالعاشقين، إذ يزيد فيهم جذوة العشق، فالشوق والحنين وقودٌ لِحُبّهما؛ لأنه يمكّنهما من ممارسة الشعور ومواصلة الاستمرار في الإحساس به.

قد يقتل القربُ أحيانًا الحب أو يطفئه على أقل تقدير؛ لأنه يطفئ في المتحابين جذوة الشعور به، والشعور آتٍ من التمتع! هذا قد لا يكون دقيقًا في كل الأحوال، ولكنه قد يقع أحيانًا، وهنا تكمن عقدة الحب.

لذلك لا يمكن تنميط الحب وفقًا للقصص الرومانسية على أنه خلودٌ للعاشقين في نعيمٍ دائم أو موتٍ لا فكاك منه؛ لأن الحب كغيره من المشاعر ترد عليه المتغيرات المختلفة فيرتفع ويهبط، ويقسو ويلين، لكنه لا يبقى في استيلاءٍ وتمكّنٍ في القلب إلا إذا لم ينقطع الشعور به في أيّ صورةٍ كانت.

"الحب شعورٌ دائمٌ بالظمأ إلى المحبوب، وليس في القرب ولا في البعد ما يروي؛ لأن

الاستمرار في الظمأ استمرارٌ في الشرب، وهنا تتجلى أحد مقاصد الحب الخفيّة!"